

مذكرات مَجِينُونَ .

الصفير ادريس

حين انحدر من الطرف العلوى للزقاق المحدودب ، أشعل سيجارة
وقال في نفسه بان الدنيا تافهة، تافهة ... هل تذكر موت أبك جيدا ؟ سكنت
انفاسه في الهزيع الاخير من الليل . كان شجاعا . لم يوقظ أحدا . جابه
أوحده عزرائيل المخيف . وكنا نحن ننعم بأحلام الصباح المبكر الوردية ،
وهذا الزقاق الضيق المحدودب . وهذه الجارة الخبيثة القبيحة التى تدعوك
الى مضاجعتها بألف طريقة فترفض . وهذا البقال الذى ينتظر آخر الشهر .
— يا ولدى أصبر . منذ اليوم انت الرجل . انت المسؤول . حامى الحمى ،
انت . انت .

ويجوه الاصدقاء ؟ انتم ايها الاصدقاء المخلصون . لولاكم ما كان
للحياة معنى ... والحب الاول ؟ اول رسالة حب ، اول بسيسة ، اول
موعد ، اول قبلة ... والكلاب ؟ كلاب الصيد ينتفرون في كل مكان ،
يستنطقون الجدران ويشتمون ... انوفهم طويلة ، عيونهم ، مؤخراتهم
، الزناة . بكيت . تخبطت برجليك ويديك . قالوا لا تنزع ، أبوك ذهب
للسفر ثم يعود . كنت تعرف أنه لن يعود أبدا . فما كان الاموات يعودون ،
والطابور الطويل كل ثلاثة اشهر ؟ العدل والانصاف . عيون الحارس
وعصاه . كل متأخر يقف في ذيل الطابور . العدل والانصاف . الشمس
والذباب . والرغبة الرعناء في التحطيم . تحطيم اى شىء . كل شىء ،
كل متأخر يقف في ذيل الطابور ... كان الموظف يحضر متأخرا منتفخ العينين
ينهض لتراه من النوم . كان قد سهر ليلة أمس في احدى حانات المدينة ،
نظر الى الطابور بازدياء . مشى متبخترا الى مكتبه . انزلت امرأة من
آخر الطابور وتشبثت بيده تقبها . جذبها الحارس بعنف . غضب الموظف
وقال لاصحاب الطابور (هج) . صفق باب مكتبه من ورائه . سرت
همهمة بين الواقفين .

— يا ولدى أصبر . ان الله لا ينسى عبده . ومن أبكى يتيما عاقبه
الله . ونعمية ؟ نعمية يا أجمل فتاة في الدنيا . يا أبهى وأحلى ، يا حبيبتي .

هل نسكن عش عصفور ؟ ونطعم حبات فول ؟ هل ..؟ شقراء روحاء
حبيبتى ...

في قصره الانيق على شاطئ البحر كان السيد (الباترون) غاضبا
يعزف عن تناول الطعام . وكانت السيدة (زوجة الباترون) تواسيه . كان
يسرف في التدخين على غير عادته ، لان التدخين ينفس عن المجهود وينقص
العمر ثم قال :

— تصورى يا حبيبتى . يا أجمل فتاة في الدنيا . يا أبهى واحلى ،
انهم يريدون تحطيم حياتنا . هؤلاء (الهمج) يستترون في الاضراب . يريدون
امتلاك مصلى أذ . انا الذى انتدنتهم من حياة الجوع والبطالة . يحطمون
سعادتى يا شقراء روحاء حبيبتى .

قال الموظف لاصحاب الطابور بلهجة صارمة : عودوا غدا . غضب
البلقان وصاحب الكراء وصاح (مسيو أبروفيسور) في وجه التلميذ
(همج) ، وهذا الزقاق الضيق المحدودب ، قال شيخ الحومة يفاضل
امراة من سكان الحى :

— متى نبراك يا جميلة ؟

ضحكت المرأة وحركت عجيزتها متى ابتعدت منه قليلا . تأوه برغبة
وقال في نفسه ان اقلتها .

عاد التلميذ الى المنزل باكيا . هو لا ينجح في الشهادة . هم يطردونه.
قالت امه لابيها بان يصنع له صندوقا لمسح الاحذية . قلب الاب طبق
الطعام في وجه الام . هو كان يريد لابنه ان يصبح طبيبا .. يا نيرون احرق
كل امدن . كل الازقة . احرق الاوصياء يا نيرون . الاوصياء الزناة ،
المزنيين الزائفين .. كان شجاعا ، لم يوقظ احدا . جابه لوحدده عزرائيل
المخيف ،، نيرون احرق كل الخطباء .

— يا ولدى اصبر . انت الان رجل

بقامة مديدة وشارب ونظارتين طبيبتين . رجل انا . وهذه الكوابيس ؟
الدماء وجاود اكباش العيد . جلود اكباش العيد .. تسير في الطريق المبللة
بقطرات المطر . تحدث نفسك بصوت مرتفع . تقلص عضلات وجهك ،
تكر بأسنانك على عقب دخينتك . تكور يديك وتبسطهما . تقذف برجلك
الاحجار وسدادات المشروبات . يفر الناس من امامك . يتحاشاك الاصدقاء
وينخلرون اليك في حزن وتعاطف .

الصفير ادريس — البيضاء